

مدينة وهران كحاضرة علمية

من خلال كتاب البستان لابن مريم المليطي المديوني

أ.د عبد القادر بوباوية

أستاذ التعليم العالي - قسم التاريخ - جامعة وهران

كانت مدينة وهران من أبرز حواضر المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى ولذلك كانت مقصدًا لطلبة العلم والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، ومن خلال كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان الذي ألفه ابن مريم المليطي المديوني - والذي قمت بدراسته وتحقيقه في إطار احتفالية تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية - سأعمل على إبراز المكانة التي احتتها وهران كحاضرة علمية.

لقد ساهم المؤرخون بصفة عامة، وكتاب التراجم منهم بصفة خاصة في تخليد العلماء الذين عاشوا على ثرى بلاد المغرب الإسلامي عامة، وببلاد المغرب الأوسط بصفة أخص، ومن أبرز أولئك الذين ترجموا للعلماء ابن مريم المليطي المديوني الذي خلف لنا كتاباً هاماً سماه "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان"⁽¹⁾.

سمح لنا هذا المؤلف الهام بمعرفة عدد كبير من العلماء والأولياء الذين عاشوا في تلمسان وأحوازها، وأسهموا في الحركة العلمية والثقافية التي عاشتها هذه المنطقة على عهده، حيث لم يكتفى ابن مريم بالترجمة للعلماء والأولياء فقط بل زودنا بمعلومات في غاية الأهمية عن الحركة العلمية بتلمسان وأحوازها بصفة خاصة، وببلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، فضلاً عن المعلومات القيمة المتعلقة بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تميز تلمسان وأحوازها زمن المترجمين.

ومن مناطق المغرب الإسلامي التي كانت حاضرة في هذه المؤلف مدينة وهران، وهو ما يؤكد المكانة العلمية التي كانت تحملها هذه المدينة سواء من خلال علمائها أو من خلال ارتحال الطلبة والعلماء إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وفي كلتا الحالتين فإن المستفيد كان طلبة المدينة وعلمائها الذين استغلوا لقاءاتهم مع علماء من أجل طلب المزيد من العلم.

¹ - اعتمدنا هذا العنوان خلافاً لما عمل به محمد بن أبي شنب بالنظر إلى أنه العنوان الذي ورد في أقدم النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب، وهي النسخة 1736 التي تم نسخها في عام 1049هـ/1639م، أي بعد حوالي إحدى وعشرين سنة من وفاة المؤلف التي كانت على الأرجح قبل سنة 1028هـ/1619م.

فمن هم أبرز علماء وهران الذين ترجمهم ابن مریم في كتابه؟ وما هو الدور الذي لعبوه في ازدهار الحركة العلمية بها؟ ومن هم أبرز العلماء الذي رحلوا إلى وهران، وأفادوا طلبتها واستفادوا من علمائها؟ تلك هي جملة التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال كتاب البستان لابن مریم المليفي المديوني الذي أورد معلومات هامة عن علماء وهران وعن العلماء الذين ارتحلوا إلى وهران، وأفادوا طلبة العلم بها، وقبل ذلك وجب تقديم تعريف موجز بالمؤلف والكتاب الذي قمت بدراسته وتحقيقه في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية.

نبذة موجزة عن كتاب البستان ومؤلفه:

التعريف بالمؤلف: أورد المؤلف اسمه في مقدمة كتابه - وفي ترجمة والده⁽¹⁾ - التي جاء فيها أنه "محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الملقب بابن مریم الشري夫 المليفي نسباً، المديوني نجاشا⁽²⁾، التلمساني منشأً ومولداً وداراً⁽³⁾".

وإذا كان من سبقنا - من نشر الكتاب، أو قدّم دراسة عن كتابه - قد عجزوا عن تقديم ترجمة مُوسيعة عن المؤلف؛ فإننا تكنا من الحصول على ترجمة مفصلة لمؤلف البستان، وذلك من خلال تلميذه الفقيه العالم عيسى بن محمد بن يحيى الراسي البطوئي السعیدي - المتوفى سنة 1040هـ/1630م - الذي خصّه بترجمة وافية في كتابه الموسوم بـ"مطلوب الفوز والفالح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح"⁽⁴⁾، وقد اعتمد في ذلك على الترجمة التي أرسلها إليه ابن المؤلف محمد الصغير بعدما طلب منه ذلك.

يقول عيسى البطوئي في الباب السابع من كتابه، وعنوانه: "في المشيخة وهو فصول" ، وفي الفصل السابع منه: "في ذكر شيخنا وبركتنا ووسائلنا إلى ربنا، السيد الإمام الحسن النظام، العالم

¹ - هو محمد بن أحمد بن محمد الشري夫 المليفي - انظر ترجمته في ابن مریم المليفي المديوني - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986م - ص ص 267-270.

² - هو محمد بن أحمد بن محمد الشري夫 المليفي - انظر ترجمته في ابن مریم المليفي المديوني - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986م - صص 267-270.

³ - ابن مریم - البستان - ص 5.

⁴ - عيسى بن محمد الراسي البطوئي - مطلب الفوز والفالح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح - مخطوط رقم 1667 - الخزانة الحسينية - الرباط / عيسى بن محمد الراسي البطوئي - [قطعة من كتاب] مطلب الفوز والفالح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح - دراسة وتحقيق حسن الفكيكي - مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث - مطبعة النجاح الجديدة - الرباط - يناير 2000م - ص 9 / نويهض عادل - معجم أعلام الجزائر - مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت - ط 3 - 1403هـ / 1983م - ص 293 هامش 1.

العلم، القدوة العالمة، المدرس المتفنن المصنف شيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد المكفي بابن مريم الشرييف الملطي التلمساني المعروف بالمدحوني⁽¹⁾.

شيوخه: من خلال ما أورده تلميذه عيسى بن محمد الراسي البطوئي عن شيخه، وتتبع التراجم التي أوردها ابن مريم في كتاب البستان يمكننا معرفة الشيوخ الذين تلمنذ عليهم المؤلف وهم:

1- والده محمد بن أحمد بن محمد الشرييف الملطي، المتوفى صبيحة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة خمس وثمانين وتسعمائة، الذي كان نقطة انطلاقه نحو طلب العلم⁽²⁾.

2- الشيخ أحمد بن عيسى الورندي ثم الزكوطى المعرف بأبركان، لم يذكر تاريخ وفاته، ولكنه أورد خبراً مفاده أنه غسله مع تلميذه محمد البطحي، ومعنى ذلك أن وفاته كانت قبل سنة 1605هـ/1014م⁽³⁾.

3- الشيخ سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمن بن بلعيش المقرى، فقيه تلمسان وعالماها ومفتياها وخطيبها بالجامع الأعظم خمسا وأربعين سنة⁽⁴⁾، وقال: إنه "كان بقياد الحياة سنة إحدى عشرة وألف"⁽⁵⁾.

4- الشيخ علي بن يحيى السلكسيني: الفقيه الخطيب، العالم المحقق، الولي الصالح الصوفى، كان إماماً بمسجد أجادير، وحرضاً على تدريس العلم، وكانت وفاته في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة 972هـ/1564م⁽⁶⁾.

5- الشيخ أبو السادات محمد بن يحيى المدحوني المدعو أبو السادات، الفقيه العالم الولي الصالح، المتوفى بعد الخمسين وتسعمائة⁽⁷⁾.

6- الشيخ محمد بن محمد بن موسى الوجديجي المدعو بالصغرير: الفقيه العالم المتفنن العالمة، المتوفى في الوباء عام 981هـ/1573م⁽⁸⁾.

¹- مطلب الفوز والفالح- تحقيق حسن الفكيكي - ص125.

²- البستان- ص ص267-270.

³- نفسه- ص24-26.

⁴- نفسه- ص24-26.

⁵- نفسه- ص105.

⁶- نفسه- ص145-146.

⁷- نفسه- ص261-262.

⁸- نفسه- ص264-265.

- 7- الشیخ محمد بن احمد بن داود العطافی التلمسانی: الفقیه العالم النحوی الخطیب الإمام⁽¹⁾.
- 8- الشیخ سیدی محمد بن احمد الکنائی المعروف بیوزوبع، المتوفی بعد سنة 980هـ / 1572م⁽²⁾.
- 9- الشیخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطعیری أصلاء، الجادری داراً، المعروف بابن رحمة، المتوفی يوم الثلاثاء الحادی والعشرين من شوال سنة 1001هـ / 1592م⁽³⁾.
- 10- أبو السادات محمد الصغیر بن محمد بن یحيی بن محمد المدیوینی، حفید سیدی یحيی الفقیه العالم المدرس الحافظ الحجۃ، المتوفی في الوباء⁽⁴⁾.
- 11- الشیخ محمد بن محمد بن الشرقي: الفقیه العالم المدرس، المتوفی سنة 964هـ / 1556م⁽⁵⁾.
 وفاته: لم یذكر من ترجم ابن مریم تاریخاً محدداً لوفاة مؤلف کتاب البستان، ونیل من جھتنا إلى ما أورده محقق کتاب مطلب الفوز والفالح الذي يقول: "غير أنه تبین أن عمره امتد ما بعد 1025هـ، ويتفق هذا مع ما استنتجه من كتابات البطوئی؛ فالواضح منها أن الفقیه السعیدی الجاز من طرف ابن مریم بادر إلى مغادرة تلمسان في اتجاه منزله بتیزی عدنیت بنی سعید، ثم شد الرحال مرة أخرى إلى تلمسان، وتحديداً إلى مدشر الحناية بمجرد ما بلغه خبر وفاة شیخه الملیتی حيث استخبر هناك أن الشیخ تفقده حينما دنا منه أجله، وتمنی حضوره إذ قال لابنه محمد الصغیر: "لو كان هنا أحمد بن ونيس وعیسی البطوئی ما غسلني غيرهما"⁽⁶⁾.
- وما نفهمه من تذکر الشیخ لتلمیذه قبیل وفاته أن زمـن افتراقہما لم یکن بعيداً جدًا من حدث الوفاة، وما هو مؤکد لدينا من جهة أخرى أن عیسی البطوئی كان بعد الحصول على إجازته ومغادرته تلمسان بسكناه من بنی سعید، وبتصريح منه سنة 1028هـ / 1617م منتظرًا وصول مناقب شیخه ابن مریم التي وعده بإرسالها ابنه محمد الصغیر تمھیداً لفكرة جمع المعلومات عن لقیهم من ذوي الفضل والصلاح.
- ویشجعنا البحث عن تاريخ الإجازة إلى الإدلاء باقتراح خاص بتقریب تاريخ وفاة ابن مریم المجهول لحد الآن لنقول إنما كانت بين سنتي 1025 و 1028هـ / 1611-1617م⁽⁷⁾.

¹- نفسه- ص 279-280.

²- نفسه- 285-286.

³- البستان- ص 285.

⁴- نفسه- ص 286.

⁵- نفسه- ص 281.

⁶- مخطوط مطلب الفوز والفالح- الفصل السابع من الباب السابع- ص 832/نفسه- ص 123.

⁷- مطلب الفوز والفالح- ص 49-50.

علماء وهران من خلال البستان: أورد ابن مريم ترجم العديد من العلماء الذي اهتموا بالعلم ونشره في حاضرة وهران، وهيؤلاء العلماء المترجمين هم:

١- ابن جيدة المديوني الوهاني: هو أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن جيدة المديوني الوهاني^٢.
شيوخه: أخذ عن الإمام السنوسي مقدمته الصغرى، وعن الكفيف ابن مرزوق، وهو الذي كان يطالع له، وأخذ التصوّف عن ابن تاغزوت، وهو أخذ عن الولي إبراهيم التازري عن القطب الهواري، وأخذ أيضًا عن الشيخ محمد بن عيسى تلميذ السنوسي.

وفاته: وتوفي سنة إحدى وخمسين وتسعمائة⁽³⁾.

⁵ تلاميذه: أخذ عنه الشيخ أحمد المنجور⁽⁴⁾، وذكره في فهرسته.

الستان- 314-315

² انظر ترجمته في نيل الابتهاج - ص 140 / كفاية المحتاج - ص 78 / شجرة النور الزكية - ج 1 ص 402 / تعريف الخلف - ج 2 ص 43-42 / دمحة الناش - ص 122 / جنة الاقتصاد - ج 1 ص 158 / دمة الحجاج - ص 55 / معجم أعلام الخلق - ج 348.

٣ - تقابلاً سنة 1544م

⁴ - المنجور: هو أحمد بن علي بن عبد الله الفاسي، عرف بالمنجور المتوفى يوم الإثنين السادس عشر ذي القعدة سنة 995هـ/1586م، انظر ترجمته في دوحة الناشر - ص57/فهرس المنجور - ص14-21/جريدة الاقباص - ج ص135-136 درة الحال - ص82-84/المقري-روضة الآنس - ص285-286/نيل الاتهاج - ص143-145/كفاية المحتاج - ص80-81/طبقات المضيكي - ج 1 ص32-34.

⁵ انظر أحمد المنجور - فهرس أحمد المنجور - ص 74، وقد وردت الترجمة نفسها مع اختلاف طفيف عند التبتكى.

2- إبراهيم التازى: هو إبراهيم بن محمد بن علي اللنبي التازى⁽¹⁾، نزيل وهران، الشيخ أبو سالم وأبو إسحاق، هو الإمام العالم العالمة، البلغ الناظم، الولي الورع الزاهد، الصالح الناصح، العارف القطب، صاحب الكرامات والأحوال البديعة العجيبة والقصائد الرائقة الأنثقة.

شيوخه: قال الشيخ ابن صعد: وأخذ بحكة عن عالمة علمائها وكثيراً محدثها، قاضي قضاء الملوكية سيدي الشريف تقى الدين محمد بن أحمد بن علي بن الحسن الحسني الفاسي، قرأ عليه كثيراً من الحديث والرقائق وأجازه، وأخذ بالمدينة عن جماعة منهم إمام الأئمة أبو الفتح بن أبي بكر القرشي وغيره⁽²⁾. وكان كلامه في طريق التصوف ومقام العرفان لا يقوم بمعناه إلا من تمكن في معرفته وقويت عارضته، وذاق من طعم الحب والشوق ما توفرت به ماداته⁽³⁾.

وأخذ أيضاً بتونس عن شيخ الإسلام الحافظ العالمة عبد الله العبدوسى، وبتلمسان عن عالمة وقته وخاتمة علماء عصره محمد يعني الحفيد ابن مرزوق، وأجازاه معـاً، ثم قصد وهران لزيارة شيخ المشايخ، لسان الحق، جنيد أقرانه، وحكيم أهل زمانه الهواري، انتهى.

مناقبـه: قال الشيخ ابن صعد التلمساني في النجم الثاقب: كان سيدي إبراهيم رحمة الله من الأولياء الراهدين، وعباد الله الصالحين الناصحين، إماماً في علوم القرآن، مُقدّماً في علم اللسان، حافظاً للحديث، بصيراً بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، إماماً من أئمة المسلمين، وفقت على كثير من تقاليده في الفقه والأصول وعلم الحديث بخطه الرائق، من أهل الحفظ العظيم، معروفاً بجودة النظر والفهم الثاقب، جامعاً لمحاسن العلماء، مُمتعباً بآداب الأولياء، لا نظير له في كمال العقل ومتانة الحِلْم⁽⁴⁾، والتمكن في المعارف...

¹- أنظر ترجمته في ابن صعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل - النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاجر المناقب - تحقيق وتلمسان محمد أحمد الدبياجي - دار صادر - بيروت - ط 1 - 1432هـ/2011م - صص 52-110 / ابن صعد - روضة النسرين - ص 143 - 191 / الملاي - المواهب القدسية - ص 23 و 29 / الضوء اللامع - ج 1 - ص 187 / نيل الإبهاج - ص 59 - 64 / كفاية الحاج - ص 102 - 104 / وفيات الونشريسي - ص 100 / شجرة النور الزكية - ج 1 - ص 380 / تعريف الخلف - ج 2 / صص 11-16 .

²- الكلام بتصرف من ابن صعد - النجم الثاقب - ص 55-56 .

³- بتصرف عن ابن صعد - المصدر السابق - ص 58 .

⁴- في النجم الثاقب - ص 53: الحكم.

كان أحسن الناس صوتاً، وأندأهم⁽¹⁾ قراءة، آية لله⁽²⁾ في فصاحة اللسان والتجويد، حدثت أنه أيام مجاورته بمكة إذاقرأ البخاري أو غيره الخشن الناس إليه لحسن قراءته وجودة إتقانه، وفُلِمْ هناك لإقامة الأشفاع⁽³⁾ برمضان لأنَّه أحسنهم تلاوة وحلاوة⁽⁴⁾.

قلت: ولما حجَّ لبس الخرقة من شرف الدين المراوي، ولبسها أيضًا من الشيخ صالح بن محمد الزواوي بسنده إلى سيدِي أبي مدین، وأخذ عنه حديث المشابكة، وتبرَّك بالشيخ الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري، وتلَّمَّذ له فنال برَّكته، وكان رحمة الله عالِمًا زاهداً متصوفاً، وله كرامات ومكاشفات كثيرة، وقصائد حليلة تنبئ عن عظيم مقداره، وفيها حكم ومعانٌ بديعة، وقصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

تلَّمَّذَتْه: أخذ عنه جماعة منهم الحافظ التسسي والإمام السنوسي وأخوه سيدِي علي التالوتي، والشيخ أحمد زروق وغيرهم⁽⁵⁾.

قال القلصادي في فهرسته: قدمت وهران، وأقمت بها مع الشيخ المبارك سيدِي إبراهيم التازِي خليفة سيدِي محمد الهواري في وقتِه، كان له اهتمام بكلام شيخه، ومن حكمه رضي الله عنه: العَالَمُ لَا تُعَادِهُ، وَالْجَاهِلُ لَا تُصَافِهُ، وَالْأَحْمَقُ لَا تُؤَاخِجَهُ⁽⁶⁾، انتهى.
وفاته: توفي يوم الأحد تاسع شعبان سنة ست وستين وثمانمائة⁽⁷⁾.

3 - محمد بن عمر الهواري: الشيخ الولي الصالح، العارف بالله، القطب أبو عبد الله⁽⁸⁾، كان كثير السياحة شرقاً وغرباً، بِرًّا وبحراً.

¹- في الأصل: أقرأهم وما أثبتنا من روضة النسرين لابن صعد- ص144/نفسه- النجم الثاقب- ص53.

²- في النجم الثاقب: آية من آيات الله.

³- في النجم الثاقب: لصلاة الأشفاع في رمضان، وفي ش: لصلاة التراويح برمضان.

⁴- في ش: لحسن تلاوته وطلاوته، وقال ابن صعد: لحسن قراءته وجودة إتقانه- روضة النسرين- ص144، وقال في النجم الثاقب: واتفقوا على أنه أحسن القراء تلاوة، وأربنه طلاوة وحلاوة. النجم الثاقب- ص53.

⁵- القول لأحمد بابا التبكتي- نيل الابتهاج- ص61.

⁶- كذا في رحلة القلصادي- ص111.

⁷- كذا في النجم الثاقب وروضة النسرين والمواهب القدسية- 29، وتقابل 9 ماي سنة 1462م.

⁸- انظر ترجمته في ابن صعد- روضة النسرين- ص47-123/النجم الثاقب- ج 1 ص107-109/الضوء اللامع- ج 8 ص272/وفيات الونشريسي- ص90/درة الحجال- ص276/نيل الابتهاج- ص518-515/كتفية المحتاج- ص404-405/شجرة النور الزكية- ج 1 ص366/المخنافي- تعريف المخلف- ج 1 ص174-176/معجم أعلام المزائير- ص337.

شيوخه: أخذ بفلس عن موسى العبلوسي والقتاب، وبجاية عن شيخها أحمد بن إدريس⁽¹⁾ وعبد الرحمن الوغليسي⁽²⁾.

رحلاته إلى المشرق: سافر من فاس إلى المشرق للحج؛ فدخل مصر؛ فلقي من بحثا، وأخذ عنهم كالقرافي وغيره، وجاور بالحرم الشريف مدة بين مكة والمدينة، ثم سافر للقلنس لرؤية بيت المقلنس والصلة بهما، وجال في بلاد الشام⁽³⁾، وكان في جامع بني أمية يأوي في سياحته لغيبة ملتفة؛ فتأنى إليه السباع والوحوش العادية.

نشاطه بوهران: ثم استقر بوهران بعد ذلك مُثابراً على العلم والعمل، والصدق في الأحوال، وانفع به من اجتمع به، ولما قرب أجله كان أكثر كلامه في مجالسه التبشير بسعة رحمه الله وغفوه⁽⁴⁾.

تلامذته وتأكifice: قال بعضهم: كان مقطوعاً بولايته، وأخذ عنه إبراهيم التازى، وهو صاحب التسبيه للتقدم.

وفاته: وتوفي بوهران سنة ثالث وأربعين وثمانمائة⁽⁵⁾.

علماء زاروا وهران:

علي القلصادي: هو علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي⁽⁶⁾، الشيخ الفقيه، العالم الصالح، الرحالة، المؤلف الفرضي، آخر من ألف التأليف الكثرة، من أئمة الأندلس.

مناقبه: قال القاضي ابن الأزرق⁽⁷⁾: هو الشيخ الفقيه، الأستاذ العالم، المتنفن بالمصنف، الرواية الرجال، الحاج الصالح.

الصالح.

¹ - أحمد بن إدريس: كبير علماء بجاية في وقته، المتوفى سنة 760هـ/1358م، انظر ترجمته في الديباج المذهب - ص 138 / درة الحجال - ص 44 / نيل الابتهاج - ص 99-100 / كفاية الحاج - ص 45 / شجرة النور التركية - ج 1 ص 335 / تعريف الخلف - ج 1 ص 34-36 / معجم أعلام الجزائر - ص 32-33.

² - انظر روضة النسرين - ص 51.

³ - انظر روضة النسرين - ص 54.

⁴ - انظر روضة النسرين - ص 55-56.

⁵ - قال ابن صعد: وكانت المصيبة بوفاته على ما قرأته بخط سيدى إبراهيم صبيحة يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثانى الثاني من سنة ثالث وأربعين وثمانمائة - روضة النسرين - ص 122، وتقابل سنة 1439م.

⁶ - انظر ترجمته في رحلة القلصادي - ص 30 وما بعدها / المawahب القدسية - 13 و 13 / أبو جعفر أحمد بن علي البلوي - ثبت أبي جعفر البلوي الوادى آشى - ص 104 وما بعدها / الضوء الالمعن - ج 6 ص 14-15 / درة الحجال - ص 407 / نفح الطيب - ج 3 ص 430-431 / نيل الابتهاج - ص 339-341 / كفاية الحاج - ص 260-261 / شجرة النور التركية - ج 1 ص 377.

⁷ - ابن الأزرق: هو محمد بن علي بن قاسم بن مسعود الأصبهني ويعرف بابن الأزرق، صاحب كتاب بدائع السلوك في طبائع الملك المتوفى سنة 896هـ/1490م. انظر ترجمته في ابن الأزرق أبو عبد الله - بدائع السلوك في طبائع الملك - تحقيق وتعليق علي سامي النشار - دار السلام - القاهرة - ط 1 - 1429هـ/2008م - ص 9-23 / السحاوي -

قال تلميذه الشيخ أبو عبد الله الملاّي: كان رحمة الله عالماً فاضلاً صالحًا، شريف الأخلاق، سالم الصدر، له تأليف أكثراً في الحساب والفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البناء، وشرحه العجيب على المحوفي، انتفع عليه خلق كثير، وأخذ عنه شيخنا أبو عبد الله السنوسي جملة من الفرائض والحساب، وأجازة جميع ما يرويه عنه، ثم لما قام من الأندلس استقر عند سيدي محمد ابن مرزوق، يعني الكفيف، ولد الخفيف؛ فقرأ عليه الجمّ العفيف من الناس، وقرأت أنا عليه تأليف في العربية، انتهى⁽¹⁾.

رحلته العلمية ووفاته: ورحل إلى المشرق؛ فلقي الكثير وانتفع به، ومن شيوخه بتلمسان الإمام أبو الفضل قاسم ابن القاضي أبي عثمان العقابي، والإمام أبي عبد الله بن مرزوق، والإمام الصوفي أبو العباس أحمد بن زاغو وغيرهم.

ولقي بتونس الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن عقاب الجذامي⁽²⁾، تلميذ ابن عرفة، والإمام أبو العباس أحمد القلشاني⁽³⁾، والشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليليني الشهير بمحلو وغيرهم. ثم حجّ ولقي أعلاماً، وعاد فاستوطن غرناطة إلى أن حلّ بوطنه ما حلّ؛ فتحيّل في تلخisce من شرك الهاляك؛ فأدركه المنية بباجة⁽⁴⁾ من بلاد إفريقية متصرف ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة⁽⁵⁾، وكان على قدم الإجتهداد، ومواطبة الإقراء والتدرис.

مؤلفاته: ومن تأليفه كتاب أشرف المسالك إلى مذهب مالك، وشرح مختصر خليل، وشرح الرسالة، وشرح التقلين، وهداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام، وهو شرح مفيد، وشرح رجز القرطي، وشرح تنبية الإنسان إلى علم الميزان، والمدخل الضروري، وشرح إيساغوجي في المنطق، وشرح الأنوار السننية في الحديث لابن حُرَيْ، وشرح رجز

الضوء اللامع- ج 9 ص 20-21/دودة الناشر- ص 112/فتح الطيب- ج 3 ص 436-441/نيل الابتهاج- ص 561/كتفافية المحتاج- ص 443-442/شجرة التور الزكية- ج 1 ص 377-378.

¹- كذا في المواهب القدسية- 13.

²- أبو عبد الله محمد بن محمد الجذامي: انظر ترجمته في رحلة القلصادي- ص 118-122/نيل الابتهاج- ص 527-529.

³- أبو العباس أحمد القلشاني: هو أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني المتوفى سنة 863هـ/1458م، انظر ترجمته في فهرست الرصاع- ص 186-183/رحلة القلصادي- ص 115-116/نيل الابتهاج- ص 117-116.

⁴- باجة: مدينة كبيرة أولية في إفريقية، لها حصن حصين، وللمزيد عنها انظر المسالك والممالك- ج 2 ص 718-720/زهوة المشتاق- ج 1 ص 290/الروض المعطار- ص 75.

⁵- كذا في المواهب القدسية- 13.

الشَّرَان⁽¹⁾، وشرح حكم ابن عطاء الله، وشرح رجز قاضي الجماعة أبي عمرو ابن منظور في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى البردة وعلى ابن بري، وعلى رجز أبي إسحاق ابن فتح في النجوم، وعلى رجز أبي مقوع⁽²⁾، والنصيحة في السياسة العامة والخاصة، وهداية النظر في تحفة الأحكام والأسرار، وكشف الجباب عن علم الحساب، وكشف الأنوار، وكشف الأسرار عن علم الغبار، والتبصرة، وقانون الحساب في مقدار التلخيص، وشرحه، وكليات الفرائض وشرحها، وشرحان على التلخيص كبير وصغير، وشرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة، ومحضره، والضروري في علم المواريث، والمستوفى لمسائل الحوفي، وشرحان على التلمسانية الأكبر والأصغر، وشرح فرائض صالح بن شريف، وابن الشاطئ، وشرح فرائض مختصر خليل، وفرائض التقين، وفرائض ابن الحاجب، والغنية في الفرائض، وغنية النجاة وشرحها الأكبر والأصغر، وتقريب المواريث، ومتنه العقول البواث، وشرح مختصر العقابي المذكور، لم يتم، ومدخل الطالبين، ومحضر مفيد في النحو، وشرح رجز بن مالك، وشرح الأجرمية، وجمل الرجاحي، ومُلْحَّةِ الحريري، ومحضر في العروض، وشرح المترجمية⁽³⁾.

ورحلته الحاوية لشيوخه⁽⁴⁾، وهو نيف وعشرون رجل، أخبرني بما بعض شيوخنا، انتهى كلام أحمد بن داود⁽⁵⁾.

علماء وهران على عهد القلصادي: وفي سنة 840هـ/1436م بدأ رحلة علمية جاب خلالها أقطار المغرب والمشرق، وكانت بدايتها مدينة وهران، وفي ذلك يقول القلصادي "فحللتا بوهران وأقمنا بها أيامًا في سرور وأمان" ، ثم سافر من جديد إليها بعدما مكث ثمان سنوات في مدينة تلمسان، ويؤكد القلصادي ذلك فيقول: "فقدت وهران وذلك عام ثمانية وأربعين وثمانمائة هـ/1444م.

وأقامت فيها برهة من الزمان مع عدة من الأحباب والإخوان" ، ويدرك في سياق ذلك عدداً من أعلام وهران الذين التقى بهم، ومنهم إمام الجامع الأعظم أبو عثمان سعد الشلولي

¹- في ب وج وفتح الطيب: الشزار - ج 3 ص 431، وال الصحيح ما أثبتنا من أ والتبكي وخلف، والشنان هو أبو عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم الشنان الغنطي، قاضي الجماعة بغرنطة، وكان بقيد الحياة سنة 837هـ/1433م، وله منظومة في الفرائض شرحها القلصادي، وللمزيد انظر نيل الابتهاج - ص 533-534 / كفاية المحتاج - ص 418-420 / شجرة النور الزكية - ج 1 ص 357.

²- كذا عند التبكي - نيل الابتهاج - ص 340، وفي فتح الطيب: أبي مقوعة - ص 431.

³- انظر فتح الطيب - ج 3 ص 431 / نيل الابتهاج - ص 340.

⁴- ذكر القلصادي عنوانها في مقدمة مؤلفه حيث قال: وسميه "تمهيد الطالب ومتنه الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب" ، وقد حققها ونشرها الأستاذ محمد أبو الأجنفان.

⁵- قارن مع ما أورده أحمد بن علي بن داود البلوي - ثبت أبي جعفر البلوي - ص 104 وما بعدها.

الذي هاجر من قندية بأرض شاطبة الواقعة شرقي قرطبة، واستقر بمدينة وهران، ومنهم الشيخ إبراهيم بن محمد بن علي التازي نسبة إلى مدينة تازا المغربية صاحب التأليف في الفقه والأصول والحديث، ومنهم الفقيه يحيى الهنيني، ومنهم الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن قاسم الشهير بالحداد، ومنهم أبو الربيع سليمان الحميدي، هو من كبار أهل العلم والفضل بوهران، وغادر المدينة في نفس السنة⁽¹⁾.

ومن المؤكد أن الرحلة التي قام بها القلصادي إلى مدينة وهران، وعلى الرغم من قصرها، كانت ذات فوائد جمة على الطرفين، فقد أفاد العالم الأندلسي من علمه الغزير طلبة وهران وبخاصة خلال زيارته لإمام الجامع الأعظم، كما استفاد هو بلا شك من علم علمائها الذين جالسهم، وتناظر معهم في شتى العلوم والمعارف.

¹- أبو الحسن علي القلصادي - رحلة القلصادي - دراسة وتحقيق محمد أبو الأحباب - الشركة التونسية للتوزيع - تونس - ط2 - 1406هـ - 1985م - صص 110-112.

الخلاصة

من خلال ما ذكرنا سابقاً تظهر جلياً المكانة العلمية التي كانت تحملها وهران في بلاد المغرب الأوسط، والذي يؤكد ذلك العلماء الكبار الذين احتضنتهم المدينة وكبار العلماء الذي رحلوا إليها، والتقووا بعلمائها، وزودوا طلبتها بما حصلوا عليه من علوم شتى.

رغم قلة العلماء الذين ترجمهم ابن مريم في كتاب البستان إلا أن قيمتهم بين أقرانهم تؤكد تحول مدينة وهران إلى حاضرة علمية فضلاً على مركزها التجاري في الحوض الغربي للبحر المتوسط.